

المظاهر الحضارية في شعر علي بن الجهم

م. أميرة محمود عبدالله
كُتَيْبَةُ الآدَابِ جَامِعَةِ بَابِل

المُلخَص

هذا البحث محاولة للكشف عن مظاهر الحضارة في العصر العباسي في شعر أحد شعراء ذلك العصر وهو علي بن الجهم، وقد وقع الاختيار على هذا الشاعر لسببين رئيسيين، الأول: يعود إلى السمة الأسلوبية التي ميّزت شعره، وهي طابع التصوير المُؤثّر للنظر الذي مثل ظاهرة في شعره، و كان من المتميزين فيه. الثاني: تأثره بمظاهر الحضارة في عصره، سواءً أكانت المادية المتعلقة بمظاهر العمران وأدوات الحياة، أو المعنوية المتصلة بالعقيدة الإسلامية ونظام الحكم في دولة الإسلام، وهو من الشعراء الملتزمين في شعره، وقد اعتمدت هذه الدراسة آلية انتقاء النماذج التي تتجلى فيها مظاهر الحضارة بوصفها عيّنات للتحليل ولاسيما أن الشاعر كرر قسماً من المظاهر الحضارية في ديوانه.

المُدخل:

الحضارة ... دلالاتها وعلاقتها بالشعر :

ليس غرضي في هذا المدخل بخاصة والبحث بصورة عامّة بيان دلالة " الحضارة " وشرح مفهومها لدى أهل الاختصاص ، وإنما الكشف عن أثرها في احد أهم أنشطة الإنسان الجمالية ، وهو الشعر ، ولكن لا بد من الوقوف قليلاً عند مفهومها ، لأن إدراك المفهوم لازم لتبيين كيفية الأثر وآلياته في الشعر . وقد اختلف الباحثون في تحديد دلالة " الحضارة " ، كل منهم انطلق من زاوية نظرٍ تختلف عن الآخرين ، ومما لاشك فيه وجود علاقة تلازمية بين الدلالة اللغوية والدلالة الاصطلاحية لمعظم الألفاظ ، ولذلك فثمة علاقة دلالية مفهومية بين الدلالة اللغوية للحضارة و دلالتها الاصطلاحية ، فالْحَضَارَةُ والحِضَارَةُ والحُضُورُ مصادر الفعل الثلاثي (حَضَرَ) ومعناه : ((إيراد الشيء ووروده ومشاهدته))^(١) ، والحضُورُ ضدُّ الغَيْبَةِ^(٢) ، ومما يُستوحى من معنى الحضور دلالة إثبات وجود الذات أو الأنا بوصفها ذاتاً أو أنفاً فاعلة لها تأثيرها في مكان وجودها وزمانه ، وسميت الحاضرة بهذا لأن أهلها الحضريين حضروا الأمصار ومساكن الديار التي يكون لهم بها قرار^(٣) ، ومن المفترض أن لكل فرد من أهل الحاضرة حضوراً وأثراً في بيئته أيّاً كان ذلك الحضور وماهية الأثر .

وأما الدلالة الاصطلاحية فثمة تعريفات كثيرة للدارسين وكُلُّها تتناول النشاط الإنساني، إلا أن منهم من فرّق بين آثار النشاط الإنساني المادية المحسوسة والآثار المعنوية المجردة أو العقلية المحضة ، ووضعوا تعريفاتهم تبعاً للوصف المذكور ، وآخرون جمعوا بين تلك المظاهر بوصفها صادرة من الإنسان نفسه وتمثل وجهاً من الوجوه المميزة للإنسان عن غيره من المخلوقات ، وهذا ليس مناط اهتمام الباحث ،إنما هدفه الكشف عن تلك المظاهر التي تمثل خصالاً وسماتٍ مميزة للمجتمع الإنساني المتحضر من المجتمع غير المتحضر أو البدائي ، وهذه الحضارة شاملة كُلاً أنواع النشاط الإنساني، ومنها الأدب بعامة والشعر بصورة خاصة.

ومن الجدير بالذكر قبل الولوج في تعريف الحضارة ومترقاتها ومظاهرها، التنبيه إلى أن تراثنا العربي الإسلامي عني بهذه المسألة قبل الفكر الغربي بقرون ، وليس هذا بغريبٍ على حضارة عريقة كحضارتنا ، فقد وظّف ابن خلدون هذا المصطلح بمفهومه المعاصر في مقدمته الشهيرة عندما دَوّن فصولها التي تناولت : (("العمران في البدو والحَضَر " و " انتقال الدولة من البداوة إلى الحضارة " و " الحضارة غاية العمران ونهاية لعمره وأنها مؤذنة بفساده "))^(٤) ومن المعروف في العصر الحديث وجود ثنائيتين متلازمتين تصفان نوعي النشاط الإنساني المتمثلين بالنشاط الفكري ويتصل بما يعرف بالثقافة

(١) مقاييس اللغة ، ابن فارس : ٢٥١ .

(٢) مختار الصحاح ، مادة حَضَرَ : ١٤١ .

(٣) ينظر : لسان العرب ، ابن منظور : ٢١٥/٣ .

(٤) ينظر : مقدمة ابن خلدون : ١٣٩ .

((culture))^(١) والنشاط المادي المتعلق بالحضارة ((civilization)) ، ولذلك فإن هذا الاتجاه ميّز بين الحضارة التي تتضمن الآلات والتقنية والعوامل المادية وبين الثقافة التي تتضمن المثل والمنجزات الفكرية والفنية والأخلاقية الراقية^(٢) ، وهناك اتجاه مغاير تماماً لهذا الاتجاه وهذه الرؤية ، إذ إن مناصري هذا الرأي لم يميزوا بين نوعي النشاط الإنساني ، بل نظروا إليهما بوصفهما نابعين من مصدر واحد هو الإنسان ، ولذلك فقد رأوا في الحضارة أنها ((ثمرتة كلّ جهدٍ يقوم به الإنسان لتحسين ظروف حياته ، سواءً أكان المجهود المبذول للوصول إلى تلك الثمرة مقصوداً أم غير مقصودٍ ، وسواءً أكانت الثمرة مادية أم معنوية))^(٣) .

ولا يعنينا من المنهجين السابقين سوى ما يشير إلى أنّ الثقافة والحضارة تمثلان نشاطاً يميز الإنسان ويضعه في مرتبة مغايرة لمجتمع الحيوان ، بل ويميز المجتمع الإنساني المتحضر من غيره من المجتمعات البشرية غير المتحضرة^(٤) ، فضلاً عن ذلك فإن الحضارة والثقافة تشيران إلى مجمل أسلوب الحياة لدى شعب ما من الشعوب ، والحضارة في وجه من وجوها تمثل ثقافةً علي نطاق أوسع ، وكلاهما أي الحضارة والثقافة تشمل المعايير والقيم والمؤسسات وطرائق التفكير التي علقت عليها أجيال متعاقبة أهمية أساسية في المجتمعات المتحضرة^(٥) .

وفي الحضارة العربية الإسلامية يختلف الأمر وتتغير المقاييس عن غيرها من حضارات الأمم الأخرى ، إذ إن الحضارة في المجتمع المسلم في أساسها تستند إلى العقيدة الموحى بها إلى الرسول الكريم محمد – صلى الله عليه وعلى آله وسلم - ، تلك العقيدة أعطت للعقل مكانة متميزة جعلته يأتي في مرتبة تالية لمرتبة الوحي والنقل ، ويقوم العقل في التشريع الإسلامي بدور المستنبط المحلل للنصوص القرآنية وأحاديث الرسول – صلى الله عليه وعلى آله وسلم -^(٦) .

وهذا البحث سيتبنى الرأي الذي نظر إلى مصطلح الحضارة بكونه وصفاً لمستوى معين من مستويات النشاط الإنساني الفكري والمادي ، وإذا كان الاستقرار في الحواضر يولد في الإنسان دافعاً نحو تطوير حياته ، فإن الرقيّ الإنساني بجانبه يمثل كلاً لا يمكن تجزئته أو هكذا ينبغي أن يكون ، ولاسيما أنّ الاستقرار النفسي لدى الإنسان سيدفعه إلى ((التفنن في الترف واستجادة أحواله ، والكلف بالصنائع التي تؤيق من أصنافه وسائر فنونه من الصنائع المهيّئة للمطابخ والملابس والفُرش))^(٧) ، وهذا ما وجدناه في المجتمع العباسي الذي يمثل عصر شاعرنا عليّ بن الجهم ، إذ شهد ذلك العصر نهضة شاملة في نواحي الحياة الفكرية والمادية ، وكان اثر ذلك واضحاً في الشعر العربي الذي يمثل تلك الحقبة ، وتجلّى في عناصر الشعر كافة سواء في المضامين أم في الشكل والألفاظ والتراكيب ، وكان شعر علي بن الجهم نموذجاً تتجلى فيه مظاهر الحضارة ، والشاعر قبل أن يكون شاعراً فهو إنسان ينتمي إلى بيئة يرتبط بها ارتباطاً وثيقاً ، تؤثر فيه ويؤثر فيها ، ولكن أثرها فيه يكون أكبر في معظم الأحيان ، والواقع أن ما لدى الإنسان من قدرة على التقدم والترقي يعود إلى ما يعرف لدى ذلك الإنسان بالتأثر والتفاعل مع المحيط أياً كان نوع التفاعل ايجابياً أم سلبياً^(٨) ، والشاعر يمتلك وسيلته الخاصة للكشف عن التأثر بالبيئة ، سواء أكانت تلك الوسيلة كفاءة ذاتية تتمثل بشعوره المتفرد ، وحذسه المرهف ، أم بحدّته اللغوية التي يستعين بها لتجسيد تأثره ، وسنحاول في الصفحات اللاحقة تجلية مظاهر الحضارة في شعر علي بن الجهم ، وتشمل المظاهر الفكرية والعناصر المادية التي وجدنا آثارها في شعره متجلية بارزة .

(١) قسم من المعجمات الانكليزية ترجمت " culture " إلى : ثقافة وحضارة، ولم تفرق بين هذين المعنيين . ينظر : المورد ، منير البعلبكي:

. ٢٣٨

(٢) ينظر : صدام الحضارات ، صامويل هنتجتون: ٦٨ .

(٣) الحضارة ، د. حسين مؤنس : ١٣ .

(٤) من المهم الإشارة إلى أن القرآن الكريم لفت الأنظار إلى مجتمعات متحضرة من غير البشر وتتمثل بأمة النحل والنمل. ينظر :سورة

النحل، الأيتان ٦٨ و٦٩ وسورة النمل، الآية ١٨.

(٥) ينظر : صدام الحضارات: ٦٩ .

(٦) ينظر : مكانة العقل في الفكر العربي ، مجموعة بحوث الندوة الفكرية التي نظمها المجمع العلمي العراقي : ١٧ و١٨ .

(٧) مقدمة ابن خلدون : ١٣٩ .

(٨) ينظر : مشكلة الإنسان ، د. زكريا إبراهيم : ٦٠ و٦١ .

المظاهر الحضارية في شعر علي بن الجهم :

قبل الكشف عن المظاهر الحضارية في شعر ابن الجهم ، لا بد من الحديث عن حياة الشاعر وترجمة سيرته الشعرية ، ليتجلى أمامنا نوع المظاهر الحضارية في شعره ، ومدى تأثره بالبيئة التي حوله . أما الشاعر فهو علي بن الجهم^(١) ينتمي إلى أسرة مرموقة في المنصب والأدب وكانت ولادته في حدود سنة ١٨٨ هـ وأما وفاته فكانت في شعبان سنة ٢٤٩ هـ في إحدى رحلاته إلى الغزو بعد أن خرج إليه ركب من قبيلة كلب في حلب^(٢) ، والخلفاء الذين عاصروهم: المأمون ، والمعتمد ، والواثق ، والمتوكل^(٣) ، وتركت الحوادث التي حدثت في سني أولئك الخلفاء أثرها في أشعار الشاعر ، واستأثرت مظاهر الحضارة العربية الإسلامية في العصر العباسي بنصيب وافر من شعره ، إذ إنّه لم يترك شيئاً من مظاهرها إلا وتأثر به .

ومن ابرز مظاهر الحضارة في العصر العباسي كثرة الأموال وفيضانها ، هذه الكثرة غير الطبيعية لم تدفع إلى النعيم فحسب ، بل إلى الترف في الحياة ومتعلقاتها المادية من دور كزخرفة وفرش وثيرة ، وثياب أنيقة معطرة ، ومطاعم ومشارب من كل لون فضلاً عن انتشار أدوات الزينة والتفنن بها تفنناً يتيح كل ما يمكن من استمتاع بالحياة ، وقد صاحب هذه المظاهر الحضارية المادية عناصر أخرى تتعلق بالفكر وحرية الرأي^(٤) ودخول النتاج الحضاري الفكري إلى الحضارة الإسلامية عن طريق الترجمة عن تراث الأمم الأخرى كالروم والفرس والهنود ، كل ذلك كان له أثره الواضح في الشعر العباسي آنذاك ومنه شعر ابن الجهم .

وعند فحصنا المظاهر الحضارية بأنواعها كلها في شعر ابن الجهم نجد أنّ تلك المظاهر قد كثرت كثرة ملفتة للنظر ولاسيما ما يتعلق بمظاهر الحضارة الفكرية المتمثلة في الجانب العقدي المتصل بعقائد الإسلام وفي الجانب السياسي المتعلق بشؤون الخلافة والخلفاء وألقابهم والمصطلحات التي تنضوي تحت المضمون الإداري في الدولة العباسية ، وهي مفاهيم مأخوذة من النظام السياسي في الإسلام منذ عهد الرسول - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - علاوة على أمور يمكن أن يطلق عليها الحكم المستقاة من شرائع الإسلام .

أما المظاهر الحضارية المادية فقد أخذت نصيبها منه ، وهي كثيرة أيضاً ، ولكن كثرتها لا ترقى إلى نسبة المظاهر الحضارية الفكرية ، فابن الجهم لم يترك شيئاً وقعت عليه عينه إلا ووصفه ابتداءً من عمارة القصور والحدائق والبرك التي كان يصطنعها الخلفاء العباسيون في حدائق قصورهم العمارة ، فضلاً عن مجالس الغناء والشراب واللهو ، وما يتصل بمعالم عمران بغداد والمظاهر الطبيعية الأخرى .

وسنجد في ثلاثة أقسام فرعية تتناول المظاهر الحضارية في قصائد علي بن الجهم ، ويمكن إيجازها بما يأتي :

١. المظاهر الدينية

٢. المظاهر السياسية

٣. المظاهر المادية

منطلقين في هذه الأقسام من طبيعة الظاهرة الحضارية التي وجدناها في ديوانه بعد تتبعها وانتقاء نماذج الدراسة المعتمدة ، إذ إن منهج التتبع القائم على إحصاء الظاهرة يمثل منهجاً علمياً موضوعياً ،

(١) أبو الحسن علي بن الجهم بن بدر بن الجهم بن مسعود الفرشي السامي ، ينتهي نسبه إلى سامة من لؤي بن غالب ، وكان سامة ترك مكة إلى البحرين ، ومكث هناك ، وترك بعض بني سامة البحرين إلى خراسان بعد فتح المسلمين لها ، ثم ترك الجهم أبو شاعرنا علي خراسان إلى بغداد بوصفها حاضرة الدنيا ومأوى العلماء ومهبط أفئدة الناس ، وأما أسرته فقد كانت من عليّة القوم ، إذ تقلد أبوه الجهم بريد اليمن أيام المأمون ، وكان أميراً للشرطة أيام الواثق في بغداد ، وكان أخوه الأكبر محمد عالماً وأديباً معروفاً في عصره ومقرباً من المأمون ، وكان عمه إدريس بن بدر أحد وجهاء عصره .

ينظر : الأغاني ، أبو الفرج الأصفهاني : ٢٠٣/١٠ ، وتاريخ بغداد ، الخطيب البغدادي : ٢٤٠/٧ ، ووفيات الأعيان ، ابن خلكان : ٤١/١ ؛

ومعجم الشعراء ، المرزباني : ٢٨٦ ، وديوان علي الجهم ، مقدمة المحقق خليل مردم بك : ٣-٥ ، والعصر العباسي الثاني ، د. شوقي

ضيف : ٢٥٥ .

(٢) ينظر : تاريخ بغداد : ٣٦٩/١١ .

(٣) ينظر : ديوان علي بن الجهم ، مقدمة المحقق : ٨ و ٩ .

(٤) ينظر : العصر العباسي الأول ، د. شوقي ضيف : ٤٩ و ٤٨ .

قيام الممدوح بتحقيقها في أقواله وأفعاله يُنزلُه الشاعر منزلة أعلى ، وقد انتهج شاعرنا هذا المنحى الأسلوبى في المديح مع المتوكل ، من ذلك قوله (١) :

وعاقبة الصبر الجميل جميلةً
وأفضل أخلاق الرجال التفضُّلُ
ولا عارَ أن زالتَ عن الحُرِّ نعمةٌ
ولكنَّ عاراً أن يزولَ التجمُّلُ
وما المالُ إلا حسرةٌ إن تركتهُ
وعُـنمٌ إذا قدّمتَهُ مُتَعَجِّـلُ
وللهِ فينا علمٌ غيبٍ وإنمّا
يُوفِّقُ مَنّا من يشاءُ ويخذلُ

إن مضمون هذه الأبيات مستوحى من معاني إسلامية محضة تتعلق بموقف الإسلام من المال، ونظرته إلى حقيقته، والتصرف الأمثل الذي يجب أن يقوم به المسلم إن حوَّله الله تعالى وأنعم عليه به ، وتُمثِّل هذه المقدمة الحكيمة نوعاً من براعة الاستهلال أراد منها الشاعر تهيئة المتلقي لمعرفة مضمون قصيدته الآتية ، وفيه دلالة على قدرة الشاعر و تمكنه من فنّه الشعري، إذ حوّل في أبياته مجموعة من المضامين الإسلامية التي تمثل ثقافة المسلم أبياتاً شعرية اتخذ منها مقدمة لمديحته، ودلف بعد ذلك الشاعر إلى غرض قصيدته الأصلي وهو المدح ، فقال (٢) :

وأقـوـمُ خَـلـقَ اللّهِ باللّـذي
يُحِبُّ ويرضى جعفرُ المتوكِّلُ
فتى جمعت فيه المكارم شملها
فمافاتُه منها أخيرٌ وأوّلُ
أبى الله إلا أتته خيرُ خلقه
وأعد لهم فيما يقول ويفعلُ
عنايته بالدين تشهدُ أتته
برأي ابن عباسٍ يُقاسُ ويُعدلُ
له المنة العظمى على كلِّ مسلمٍ
وطاعته فرضٌ من الله مُنزلُ
اعاد لنا الإسلام بعد دروسه
وقام بإمر الله والأمرُ مُهمَلُ
وآثر أثار النبي محمد
فقال بما قال الكتاب المنزل
وألف بين المسلمين بيمنه
وأطفأ نيراننا على الدين تشعل

فبعد استهلال قصيدته بمجموعة من الحكم جسّدت المفهوم الإسلامي للملكية الحقيقية ، والغنى الحقيقي ، وعلم الله الأزلي بحقيقة الإنسان ومصيره الذي يستحقه ، رأيناه يعمد إلى سلوك المبالغة في إشادته بممدوحه، وهي مبالغة موقوتة لم يكن للشاعر أن يسلكها، والدارسون طالما اعتادوا مبالغات الشعراء وتطرفهم في آرائهم، إلا أننا نخالف الشاعر في أبياته هذه عندما جعل ممدوحه خير خلق الله تعالى، وأعدلهم، فأين مقام رسول الله-صلى الله عليه وعلى آله وسلم-؟ وأين مقام أولو العزم من الرسل-صلوات الله وسلامه عليهم- ، وعلينا ونحن نعالج هذا النص أن لاننسى كونه نصاً شعرياً وفيه مبالغة، وبهنا منه خصائص الفن الشعري، إذ ضمّنه مجموعة من الأفعال التي يستحق فاعلها المدح والثناء إن قام بها ، وهي خصال كونه الإمام العادل ، وولي الأمر المقرب من الله قبل عباده ، ولذلك فقد صعد بالممدوح الى مرتبة سابقة تقارب منزلة حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما .

ولكن أين مظاهر الحضارة الإسلامية في ذلك كله ؟ إن المظاهر الحضارية الإسلامية متجلية في هذه القصيدة والتي قبلها خير تجلٍ ، ولا تحتاج الى مزيد تأمل للوصول إليها ، فعقائد التوكل على الله وتوحيده ، والصبر على أوامره والانتهاز عن نواهيه ، والتزام المسلم حاكماً كان أم محكوماً بشرائع الإسلام أمور جهد الإسلام منذ مبدأ ظهوره على تربية أبنائه عليها ليعتقدوها ويعتقدوها ، حتى تستحيل شخصية المسلم

(١) ديوانه : ١٦٣ .

(٢) ديوانه : ١٦٣ - ١٦٤ .

كياناً واحداً غير متعدد الوجوه ، في بيته وفي بيئته ، ونظام حكمه ومسجده وفي شؤون دنياه العاجلة، وكُلها عقائد إسلامية وآداب حرص الإسلام على أن تتحقق في أتباعه ، وبذلك تبعد الحضارة الإسلامية عن الازدواجية في معتقداتها وأفعالها ، وسواء مع أبنائها أم مع الآخرين الذين لا ينضون تحتها كما نجد ونقرأ في الأمم الأخرى ، ومسألة اتصاف الممدوح بها أو عدم اتصافه بها ليس موضوع البحث، إنما مناط عنايته كون تلك المظاهر استحالت مسائل يستحق من يلتزم بها المدح ومن جفاها فله الذمُّ والبعد، ونميل في رأينا إلى أن ذلك من مبالغات الشاعر، وليس من خصائص الدلالة الشعرية مطابقتها للواقع الذي نتحدث عنه، إذ إن الشعراء أعطوا لأنفسهم الحرية في نظم ما يشاؤون، وفصلاً عن هذا فإن الشعر كلما اقترب من الواقع في معانيه ودلالاته يفقد من سمات فنِّ الشعر بقدر ذلك الاقتراب حتى تصبح لغته أقرب إلى لغة النثر، والشعر في حقيقته لا يُعبّر إلا عن رأي ناظمه، ويصور وجهة نظره.

القصص القرآني:

وتتنوع مظاهر الأثر الحضاري في الجانب الديني ، فضلاً عما سبق من مظاهر العقيدة الإسلامية ، فقد وجدنا تأثير الشعر بالقصص القرآني ، والقصص الإسلامي بصورة عامة ، من ذلك ذكره قصة خلق آدم – عليه السلام - (1) :

ياسائلي عن ابتداء الخلق	مسألة القاصد قصد الحَقِّ
أخبرني قوم من الثقات	أولو علوم وألو هيئات
تفرغوا في طلب الآثار	وعرفوا موارد الأخبار
ودرسوا التوراة والإنجيلا	وأحكموا التأويل والتنزيلا
أن الذي يفعل ما يشاء	ومن له القدرة والبقاء
أنشأ خلق آدم إنشَاء	وقد منه زوجته حواء
مبتدياً وذاك يوم الجمعة	حتى إذا أكمل فيه الصنعة
أسكنه وزوجه الجنان	فكان من أمرهما ما كانا
غرهما الشيطان فَاغْتَرَا بِهِ	كما أبان الله في كتابه
غرهما الشيطان فيما صنعا	فأهبطا منها إلى الأرض معا
فوقع الشيطان أبونا آدم	بجبل بالهند يدعى واسم
لبس ما اعتاض من الجنان	والضعف من جبلة الإنسان
فثقبيا وورثا الشقاء	نسألهما والكبد والعناء
ولم يزل مستغفراً من ذنبه	حتى تلقى كلمات من ربه
فأمن السخطة والعذابا	والله توابٌ على من تابا
ثم تسلى وأحبب النسلا	فحملت حواء منه حملا
وولدت ابناً فسُمي قايना	وعاينا من أمره ما عاينا

(1) ديوانه : ١٥٧ و١٥٩ .

هذه القصيدة جزء من أرجوزته الطويلة التي بلغت (٣٢٩) بيتاً^(١) تحدث فيها عن بدء الخليقة ، وضمنها قصصاً قرآنية وأحداثاً تاريخية حكمت ما حصل من أمور عظام قبل الإسلام وبعده حتى زمانه ، والقصيدة تتدرج ضمن ما سمي بالشعر التعليمي ولذلك فهي خالية من أهم عنصر في الفن الشعري وهو الخيال والصورة الشعرية ، وما يهْمُ البحث المظاهر الحضارية فيها ، وقد تمثلت في اقتباس القصص القرآني والوقائع التاريخية لينظمها على شكل شعر ، وقد ذهب محقق ديوان الشاعر إلى أن علياً حاز فضيلة السبق في نظم تاريخ الخلفاء بخاصة والتاريخ بصفة عامة شعراً^(٢) ، ولذلك فان القصيدة قد مُلئت بالمصطلحات الإسلامية التاريخية ، ومنها : ابتداء الخلق ، الثقات أولو علم، الآثار ، الأخبار ، التوراة ، الإنجيل ، يفعل ما يشاء ، الجنان ، غرهما الشيطان ، الاستغفار ، وسلوك هذا المنحى من النظم الشعري في حقيقته مظهر من مظاهر الحضارة الإسلامية في العصر العباسي وبكل جوانبها ، وإذا كانت صفة الشمولية تمثل إحدى أهم صفات الإسلام شريعة وعقيدة ، فان حضارته بكل انجازاتها تمتعت بهذه الصفة أيضاً فكانت شاملة في نهضتها كل مظاهر الحياة ، والشمولية التي صنع الإسلام بها المجتمع جعلت الإنتاج العلمي مشروعاً حضارياً تناول الوجود الإنساني كاملاً فكرياً وفناً ومادة^(٣) ، وأسرع مظاهر النتاج الإنساني استجابة للتطور الحضاري هو الشعر ، لأنه يصدر عن نفسٍ مرهفة تتميز من النفوس البشرية الأخرى ، وقد يكون هذا التطور ايجابياً فيتفاعل بموجبه الشعر بالحضارة لتظهر عليه مظاهرها بالمضمون أو الشكل ، وقد يكون سلبياً ، فنرى الشاعر ينتهج مسلكاً يرتدُّ فيه إلى الماضي ويعتصم بالقديم ويدور حوله ، وهو نوع من الأثر الحضاري ، ولكن النوع الأول هو السائد والأكثر .

هذه أبرز النماذج على المظاهر الحضارية في الجانب الديني لدى الشاعر ويمكن أن تتدرج ضمن الشعر الإسلامي على وفق كونها تنطوي على مضامين إسلامية بحتة .

المظاهر السياسية :

من المعروف لدى دارسي الأدب العربي وناقديه أن علي بن الجهم شاعرٌ ملتزمٌ سياسياً ، إذ أوقف جُلَّ شعره على مدح الخلفاء العباسيين ومناصرتهم ، ولاسيما المعتصم والواثق والمتوكل وأصبح من مرتادي مجالسهم وقاصديها^(٤) ، وقد نظم القصائد في مدحهم ، ولذلك فقد فاض شعره بالمصطلحات السياسية التي أوجدها الحضارة الإسلامية ، وهي مصطلحات لم تعهدها أنظمة الحكم في غير الإسلام ، والشاعر ابن بيئته ووليد حضارة أمته ، ولغته الشعرية تؤكد هويته الحضارية ، على اعتبار أن اللغة ليست " رابطة جنسية ولا عرقية ، وإنما هي رابطة ثقافية تؤكد روابط انتماء حضاري " ^(٥) وهناك تأثير بين الأديب ومجتمعه في استخدام اللغة ، " فإذا ما توسعنا قليلاً – وهو توسعٌ معقولٌ ومشروعٌ لما بين اللغة والأدب من علاقة – قلنا إنَّ هناك تبادلاً في التأثير والتأثر بين الأديب ومجتمعه في إنتاجه الأدبي " ^(٦) وتتحقق هذه السمة أكثر في شعر الشاعر الملتزم بمذهب سياسي معين ، كما وجدناه عند الشاعر ابن الجهم في مدائحه لقسم من خلفاء بني العباس ، وهي على كِلِّ حالٍ تمثل شعراً سياسياً يوحى بانتماء الشاعر السياسي .

ويمكن لنا على وجه العموم أن نُقبِّم المظاهر السياسية التي رصدها البحث على نوعين:المصطلحات الإدارية السياسية، وسلوك أولي الأمر، وسنوضح ذلك في الفقرتين الآتيتين:

-المصطلحات السياسية الإدارية:-

- (١) اتبع الشاعر فيها أسلوب التفصيل في سرد الوقائع التاريخية ، ولذلك فقد استعان بهذه القصيدة ككتاب التاريخ ، كما وجدنا ذلك عند المسعودي في كتابه : مروج الذهب : ١٥/١ .
- (٢) ينظر : هامش الصفحة ١٥٨ من الديوان .
- (٣) ينظر : اللسانيات والدلالة ، د. منذر عياشي: ١١ .
- (٤) ينظر : العصر العباسي الثاني : ٢٥٧ و٢٥٨ .
- (٥) مباحث تأسيسية في اللسانيات ، د. عيد السلام المديني : ١٥٢ .
- (٦) الأدب وفنونه ، د. عز الدين إسماعيل : ٤٧ .

تمثل المظاهر الحضارية المادية النتيجة التي ستؤول إليها حركة التحضر الإنساني التي يبدأ أوارها بالاتقاد في الفكر وخبايا العقول ، ومن المعروف أنَّ العصر العباسي شهد نهضة شاملة في مظاهر الحياة كلها ، وقد تجلّى ذلك في الأدب العربي الذي يعود الى تلك الحقبة الذهبية من تاريخ امتنا المجيد ، وهذا لا يعني إغفالنا بعض الزوايا التي مثلت كبوة في حركة تاريخ الأمة الحضاري ، وما يهم البحث مظاهر الحضارة المادية التي تركت آثارها في شعر علي بن الجهم ، وقد تمثلت آثارها في شعره الوصفي إذ كان فيه براعة ودقة ، وهو في هذا الباب مجيد محسن ، يصور الموصوف كأنك تراه بما فيه من جليلٍ ولطيفٍ ، وربما كان هذا الباب من أقوى مظاهر شاعريته ، وأدلها على قوة ملاحظته ، ورقة شعوره وحسن بيانه ، وقوة إبداعه ، وقد بقي لنا من وصفه قليل من القصائد والمقطعات كوصف القصر ، والفوارة ، والبركة ، والمركب والسحابة والصيد ، وبيت القيان والليل ، والورد والشطرنج ، ومجلس من مجال اللهو " (١) وجُلُّ وصفياته تدخل ضمن المظاهر الحضارية المادية التي شاعت في العمران البغدادي بخاصة والعباسي بصورة عامة .

-القصر الهاروني:

يمثل الرُقِّي العمراني الجانب المحسوس المرئي من الحضارات، ويُعدُّ الشاهد الناطق على نهضة الأمم في سُنَى مجالات الحياة، وفي العصر العباسي مجموعة من الشواهد العِمْرانيَّة الشاخصة، منها القصر الهاروني، وقد ورد ذكره في شعر ابن الجهم، اذ قال فيه: (٢) :

ما زلتُ أسمعُ أن الملو
ك تبنّي على قَدْر أخطارها
وأعلمُ أن عقولَ الرّجا
ل يُقضى عليها بآثارها
فلرُوم ما شاده الأولون
وللفُرس ماثورُ أحرارها

وهذه الأبيات جعلها تمهيداً لما سيورد من وصفه ، وتمثل نوعاً من الحكمة ، وعلى قدر العمران الذي يُشاد في عصر الملوك والحكام يكون حكم التاريخ عليهم ، كما تحدث النَّاس في زمان الشاعر عن مآثر الرُوم والفرس ، ولكنَّ ما شيده الممدوح فاق تلك المآثر ، ولذلك قال :

فلما رأينا بناء الإمام
رأينا الخلافة في دارها
وكنا نعدُّ لها نخوة
فطأمننا نخوة جبارها
وأنشأت تحتج للمسلمين
على ملحدتها وكفارها
بدائع لم ترها فارس
ولا الرُوم في طول أعمارها

إن القصر الموصوف مثل هيبة الخلافة الإسلامية في العصر العباسي ، اذ عدَّ من مآثر المسلمين الشاخصة أمام الأمم الأخرى من فارس والرُوم ، ومناطق افتخارهم بوصفه شاهداً حضارياً مادياً ، ولذلك دلف الشاعر في التفصيل في ذكر أوصاف القصر :

صحوئُ نسايرُ فيها العيونُ
وتحسبُ عن بُعد أقطارها
وُقبلةُ ملكٍ كأنَّ النُّجو
م تُفضي إليها بأسرارها
تخرُّ الوفودُ لها سُجداً
إذا ما تجلَّت لأبصارها
إذا لمعت تستبين العيو
نُ فيها منابت أشفارها
وإن أوقدت نازها بالعرا
ق ضياء الحجاز سنا نارها
لها شرفات كأنَّ الربيع
كساها الرياض بأنوارها

(١) ديوانه ، مقدمة المحقق : ٣٦ و٣٥ .

(٢) ديوانه : ٢٨-٣١ .

نظمتن الفسيفس نظم الخلي
فهنن كمصطحبات برزن
فمنهنن عاقصة شعرها
إذا الريخ هبت لها سمعت
وفوارة ثارها في السماء
ترد على المزن ما أنزلت
لو ان سليمان أدت له
لأيقنن أن بني هاشم
فلا زالت الأرض معمورة
لغون النساء وأبكارها
بفصح التصاري وإفطارها
ومصالحة عقود زنارها
غناء القيان بأوتارها
فليست تُقصِر عن ثارها
على الأرض من صوب مدرارها
شيطيئة بعض أخبارها
يُفصن لها عظم أخطارها
بعمرك يا خير عمارةها

ومما يلحظ في هذه اللوحة المعمارية التي رسم حدودها ، وصور ملامحها الشاعر عنصر التفصيل حتى لكأن القارئ أو المتلقي شاهده رأي العين ، ومما أخذ لب الشاعر في الصميم باحات القصر ، وقبته ، والفوارة أو النافورة ، التي تقذف بالمياه المناسبة نحو الأعلى ، واستثمر الصورة البيانية لنقل ما عاينه بصره الثاقب ، وبنيت تلك الصورة من عنصرين رئيسيين هما : الاستعارة في قوله : تسافر فيها العيون ، وقوله : ثارها في السماء لتصوير مدى ارتفاع مائها المتدفق في السماء واستمراره ، وأما وصفه القبة فقد لجأ الى استثمار تقنية التصوير المركب من التشبيه والاستعارة :
م تُفصني إليها بأسرارها

فالقبة مرتفعة ، ولارتفاعها وعظمتها تصور الشاعر أن هناك مناجاة بين النجوم وبينها ، والحقيقة أن هذه الصور تفيض بالحياة ، لأن الشاعر وظف الاستعارة المكنية التي انتزع خصائص المشبه به من عناصر حية ذوي مشاعر ، ومنها الإنسان ، وإذا كان ابن الجهم قد احترق في فن الوصف فإن الذي بواه هذه الدرجة قدرته على توظيف عناصر التصوير ووضعها في السياق الذي تستطيع من خلالها كسب دلالتها بجاراتها السابقات عليها واللاحقات بها ، وأن تمتزج معهن امتزاجاً يمنحها إشعاعات وإحاعات وإضافات جديدة^(١) .

-البركة:

ويبدو أن القصر الهاروني الذي وصفه في القصيدة السابقة قد اخذ مأخذه من إعجاب الشاعر ، ولذلك فقد أوقف له قصائد ليست قليلة في ديوانه ، منها قوله في وصف البركة المحفورة أو الصناعية في القصر^(٢) .

أنشأتها بركة مباركة
حقت بما تشتهي النفوس لها
لم يخلق الله مثلها وطناً
كأنها والرياض مُحذقة
من أي أقطارها أتيت رأي
للموج فيها تلاطم عجب
فبارك الله في عواقبها
وحارت الناس في عجائبها
في مشرق الأرض أو مغاربها
بها عروس تجلي لخطبها
ت الحسن حيران في جوانبها
والجزر والمد في مشاربها

(١) ينظر : التصوير البياني في شعر المتنبي ، د. الوصيف هلال الوصيف إبراهيم : ٥٤ .

(٢) ديوانه : ٣٢ .

المظاهر الحضارية في شعر علي بن الجهم

قَدَّرَهَا اللهُ لِلْإِمَامِ وَمَا قَدَّرَ فِيهَا عَيْباً لِعَائِبِهَا
أَهْدَتْ إِلَيْهَا الدُّنْيَا مَحَاسِنَهَا وَأَكْمَلَ اللهُ حُسْنَ صَاحِبِهَا

وفي هذه الصورة أيضا تتجلى براعة الشاعر في قدرته على التوصيف المصور والمجيد لما وقعت عليه عينه ، فهذه البركة (البحيرة الصناعية) بلغت من الجمال والحسن مبلغاً بعيداً لم يجد الشاعر صورة تشبهها غير العروس التي جهزت ليلة زفافها ، بل إن الحُسن عبر تقنية الاستعارة المكنية أضحي حيران ، ولاشك أن في هذا مبالغة لطالما تعاهدنا الشعراء في أشعارهم .

-الزوارق:

ومن المظاهر الحضارية المادية ذكر المراكب أو الزوارق التي كان استعمالها شائعاً في بغداد أيام الخلافة العباسية ، من ذلك قوله في وصف أحد المراكب^(١) :

عَجِبْتُ كُـلَّ الْعَجَبِ مِنْ سَيْرِ هَذَا الْمَرْكَبِ
وَمَا لَهُ عَيْنٌ وَلَا رُوحٌ جَرَتْ فِي عَصَابِ
لِجَائِمْهُ مَنْ خَلْفَهُ مُرْغَبٌ فِي الدُّنْبِ
مُزَيَّنٌ بِالْوَدْعِ فِي الصَّدِّ بِالْوَدْعِ نُورٌ وَرَمْعُ الْعَدْبِ
وَمَا لَهُ مِنْ تَفَرُّرٍ وَمَأْلَهُ مِنْ لَبِيبِ
سَيَاطُهُ فِي سَيْرِهِ دَفْعُ مَرَادِي الْخَشَبِ
إِذَا اسْتَحْتَهُ مَجَا ذَيْفٌ لَهُ فِي الطَّلَبِ
أَعْنَقَ فَوْقَ الْمَاءِ فِي هَمَلْجَةٍ أَوْ خَبِيبِ
لِلْمَاءِ فِي حَيْرُومِهِ مِنْ صَوْتِ مَوْجِ صَخَبِ
حَشْرَجَةٌ كَالرَّغْدِ فِي عَارِضِ غَيْثِ لَجَبِ
يَنْسَابُ كَالْحَيْةِ فِي عَطْفِ دُنَابِي الْعَقْرِبِ
لَهُ شَرَاغٌ مَشْرُقٌ كَالْبَنْدِ يَوْمَ الشَّغَبِ
مَنْتَصِبٌ تَجْدُبُهُ أَرْسَانُ جَنْبِ الطُّنْبِ
لِلرَّيْحِ فِيهِ حَنْةٌ مِنْ جَرِيهِ الْمُنْجَبِ

إن المركب الذي صورّه الشاعر في أبياته بدأ ليس كبقية المراكب ، فقد استطاع عبر تقنية التصوير وباستعمال براعته في الوصف أن يرسم الموصوف وقد سرت في جنباته روح استحال كائناً ذا مشاعر مع كونه :

وَمَا لَهُ عَيْنٌ وَلَا رُوحٌ جَرَتْ فِي عَصَابِ

بل إن الشاعر على الرغم من حقيقة الموصوف الواقعية ، فقد أظهره بمظهر ذي الحياة أيا كان مسمّاه لأنه :

إِذَا اسْتَحْتَهُ مَجَا ذَيْفٌ لَهُ فِي الطَّلَبِ

(١) ديوانه : ١١٤ و ١١٥ .

أعنى فوق الماء في	هَمَلَجَةٌ أو خَبَابٌ
للماء في حيزومِه	من صوت موج صَخْب
حشرجة كالرعد في	عارض غيث لَجِب

فالهملجة والخبب مشيتان للفرس ونحوه من البغال، وجعلهما الشاعر وصفاً لسير ذلك المركب ليشكل بذلك نوعاً من الصورة الاستعارية المكنية، لتعاقب الصورة الاستعارية للماء الذي له حشرجة، وهي في أصلها وصف لنوع من الصوت يخرج من صدر الإنسان، وهذا مما قصده الشاعر قصداً في بنائه للصورة الكلية للمركب الموصوف، وليعمق من خلالها مغزى دلاليها رامة وهو كون المركب متقن الصنعة ومصمماً على وفق حياة بلغت أعلى ما وصلت إليه تقنية صناعة المراكب في ذلك العصر، وليبرز المستوى الحضاري من الرقي الذي بلغه المجتمع.

ولو ذهبنا نستقصي مظاهر الحضارة المادية في العمران لطلال بنا البحث، ولكن حسبنا ما اشرنا اليه من نماذج جزئية تعطي تصوراً عن تلك الحضارة، وإلا فللشاعر قصائد في وصف الصيد، وبيت القيان، والليل، والورد، والشطرنج، ومجالس اللهو^(١).

ومما لحظناه في هذا المجال أن المستوى الفني للقصائد التي تجلّى فيها اثر الحضارة من حيث المظاهر المادية العمرانية فاق مستوى القصائد في الأثرين الديني والسياسي، إذ استثمر الشاعر في القصائد ذوات المظاهر الحضارية المادية الخيال الشعري من خلال توظيف أسلوبية التصوير بواسطة تقنية التشبيه والاستعارة والكناية، وحتى في مجال اللغة الشعرية، فقد وجدنا المستوى اللغوي للأخيرة أميل الى استعمال الأسلوب الشعري المعتمد على لغة شعرية رصينة، بخلاف القصائد في المجالين الديني والسياسي، فقد جاءت لغتها في بعض الأحيان خالية من مقومات اللغة الشعرية، وتميل الى التقريرية والمباشرة في التعبير.

ولعلنا نستطيع أن نلتمس عذراً مناسباً للشاعر في سلوكه هذا المسلك من التعبير، إذ إن الحديث عن المضامين الدينية والسياسية قد لا يتيح للشاعر الحرية في توظيف الطاقات المكتنزة في اللغة، لأن ذلك يوجب عليه الوضوح في عباراته، وابتعاده عن الاحتمالية، ولاسيما في الحديث عن المضامين الدينية، أما التعبير عن مظاهر الحياة الأخرى كالعمران والطبيعة فإن للشاعر الحرية الكاملة في توظيف ما وفرت له اللغة من طاقات تعبيرية وتصويرية، وهذا ما دفع بالشاعر علي بن الجهم إلى سلوك هذا المنحى التعبيري.

الدراسة الفنية:

إن الأدب بصفة عامة نشاط إنساني راقٍ يصدر عن أشخاص ليسوا كبقية أفراد مجتمعهم، وثمة علاقة تأثرية بينه وبين المستوى الحضاري الذي يبلغه المجتمع الذي ينتمي إليه، وليس من المعقول ان نجد أمة ذات نتاج أدبي راقٍ ومتخلفة عن الركب الحضاري أو خاملة حضارياً، والأدب فن لغوي، ويخضع لقوانين الفنون في علاقتها مع الحضارة، ومن الخطأ أن نفضله عن الحياة التي ولد فيها فصلاً مطلقاً^(٢)، ولذلك سنترك فيه الحضارة أثرها ومن حيث معظم جوانبه.

وإذا تأملنا المظاهر الحضارية في شعر علي بن الجهم من حيث خصائصه الفنية فنستطيع تشخيص ذلك في جوانب عدة، يمكن إيجازها بما يأتي:

١- المضمون

٢- اللغة

٣- الإيقاع

ونحاول تجلية ذلك في الصفحات اللاحقة لكي يستكمل البحث جوانبه.

أولاً: المضمون

أما هذا الجانب فقد بدت المظاهر الحضارية جليةً من خلال الموضوعات التي طرقها الشاعر، وهي وإن كانت من حيث الوصف العام تدخل ضمن الأغراض الشعرية العامة كالمدح والهجاء والوصف، فإن الشاعر استطاع أن يضمّن دلالات يمكن عدّها من انجازات الحضارة الإسلامية في العصر العباسي

(١) ينظر: ديوانه: ٥٢، ١٢٠، ١٦٨، ١١١، ١٥٢، ١٧٩.

(٢) ينظر: مشكلة الفن، د. زكريا إبراهيم: ١٧١.

المظاهر الحضارية في شعر علي بن الجهم

، ولاسيما فيما يتعلق بشؤون الخلافة من ألقاب ومنجزات الخلفاء وأساليبهم في الحكم ، وإقامة العدل ، ومحاربة الظلم ، وصفات الخليفة ومدى التزامه بشرائع الإسلام في نفسه ، وفي رعيته ، فضلاً عن مفاهيم التوحيد والقضاء والقدر ، واخذ الهجاء طابعاً خاصاً تمثل بوصم المهجو بالجور والابتعاد عن تحقيق شرائع الإسلام وإقامتها ، وهكذا كان الوصف ، فقد برع الشاعر في وصف منجزات الحضارة المادية المتعلقة بتصاميم القصور والحدائق ومظاهر العمران الأخرى ، وقد اشرنا الى نماذج من ذلك في المباحث السابقة ، ولا بأس من ذكر أمثلة أخرى لاكتمال الفائدة في إعطاء الصورة .

فمن ذلك وصفه رحلة صيد مع طاهر بن عبد الله بن طاهر (١) :

وطننا رياض الزعفران وأمسكت	علينا البُزاة حُمَرَ الدراج
ولم تحمها الأدغال منّا وإنما	أبنا جماها بالكلاب النّوابح
بمسئروحاتٍ سابحاتٍ بطونُها	على الأرض أمثال السّهام الزوالج
ومستشرفاتٍ بالهوادي كأنّها	وما عقفت منها رؤوس الصوالج
ومنّ دالعاتٍ ألسناً فكأنّها	لحى من رجالٍ خاضعين كواسج
فأيننا بها الغيطان فلياً كأنّها	أناملٌ إحدى الغانيات الحوالج
فقلّ لبُغاةِ الصيد هل من مفاخرٍ	بصيدٍ وهل منّ واصفٍ أو مُخارج
قرّنا بُزاةً بالصقورٍ وحوّمت	شواهيئنا من بعد صيد الرّماج

استعان الشاعر بعبقريته في وصف رحلة صيد بالطيور الجارحة وهي البُزاة جمع باز ، والشاهين ، وكأن المتلقي يشاهد هذه الرحلة معيّنة ، إذ استطاع الشاعر بناء الصورة الكلية من صور جزئية مبتدئاً من تصوير الأحرار والأدغال الملتفة الكثيفة ، وحركة كلاب الصيد وكيفية تربصها ومراقبتها الفرائس ، وحركتها في الأدغال ، وحوم الطيور الصائدة ، مستثمراً آليات التشبيه ، وكلها مضامين مستوحاة من طبيعة الحياة في العصر العباسي .

ومن صورهِ المتميزة في ديوانهِ وصفهُ السحابة ، وحركتها ، وقد جعلها مقدمة لذكر مقتل الخليفة

العباسي المتوكل ، ولعل ذلك من مظاهر التجديد عنده في الشعر العباسي بعامّة ، إذ قال (٢) :

وساريةٍ ترتادُ أرضاً تجودُها	شغلتُ بها عيناً قليلاً همودُها
أنتننا بها ريح الصّبا وكأنّها	فتاةٌ تزجيهما عجزوزٌ تقودُها
تميسُ بها ميساً فلا هي إنّ ومنت	نهتها ولا إنّ أسرعتُ تستعيدُها
إذا فارقتُها ساعةً ولهتُ بها	كأمّ وليدٍ غابَ عنها وليدُها
فلما أضرتُ بالعيون بُروقُها	وكادت تُصمُّ السامعين رُعودُها
وكادت تميسُ الأرض إمّا تلهفاً	وإمّا جذاراً أن يضيع مريدُها
فلما رأته حُرّ الثرى مُتَعَقِداً	بما زلّ منها والرّبي تستزيدُها
وأنّ أقاليمَ العراق فقيرةً	إليها أقامتُ بالعراق تجودُها

(١) ديوانه : ١٢٠ و ١٢١ .

(٢) ديوانه : ٥٦-٦٤ .

فما برحت بغداداً حتى تفجرت
 وحتى رأينا الطيرَ في جنباتها
 وحتى اكتست من كلِّ نور كأنها
 دعتهما الى حلِّ النطاقِ فأرعت
 ودجلة كالدرع المضاعفِ نسجها
 فلما قضت حقَّ العراقِ وأهلِهِ
 بأوديّةٍ ما تسفتيقُ مُدودها
 تكادُ أكَفُّ الغانياتِ تصيِّدُها
 عروسٌ زهاها وشيها وبرودها
 إليها وجرت سِمطُها وفريدها
 لها حلقٌ يبدو ويخفي حديدُها
 أتاهما من الريحِ الشَمَلِ بريدها

حاول الشاعر في وصفه السحابة ان يضيفي عليها نوعاً من الحياة ، استحالت بموجبها كائناً مريداً فاعلاً ، وهو كدأبه في أشعاره استعان بتقنية التشبيه من خلال اعتماد أكثر من مُشَبَّه به ، ولعلّه اتخذ من هذه السحابة رمزاً للخليفة العباسي المقتول الذي رثاه وأزرى بمن قام بجريمة القتل ، فوجوده خليفة للمسلمين كان بمثابة السحابة الموصوفة .
 ولا أريد ان اكرر النماذج التي مرّ ذكرها في الصفحات السابقة التي أوجت بمظاهر الحضارة في الجانب المضموني للشعر ، فقد رأينا المضامين الحضارية متجلية فيها .

ثانياً : اللغة

اما المظاهر الحضارية في لغة الشاعر فتستطيع أن نضعها في قسمين ، الأول : يتصل بالمفردات والتراكيب ، فقد كثر في شعره مفردات وتراكيب حضارية إسلامية لها علاقة بالجوانب الإسلامية وما يتصل بها من قضايا العقيدة والتشريع والعبادات ، الثاني : في نوع الأساليب التي طبعت لغته الشعرية من حيث المظاهر الحضارية فيها ، اذ مالت الى السهولة والوضوح حتى اقتربت من لغة النثر في بعض الأحيان ، لكنه تأق في مواضع كثيرة من ديوانه في تركيب صور شعرية جميلة فاضت بالحركة والحياة ، مستثمراً ما وفرته له اللغة الشعرية من تقنيات التصوير بتوظيف فنون البيان وعناصر البلاغة .
 وسنكتفي بضرب أمثلة تعطي صورة واضحة عما قلناه ، من ذلك قوله في المتوكل مادحاً⁽¹⁾ :

خيرٌ مَنْ أسندت إليه الأمور
 وأجأنته أعينٌ وصـدورُ
 ملكٌ باسط اليدين إلى الخيـ
 ر صـفوحٍ عن الذنوبِ غفورُ
 أمن الناسُ واستفاض به العد
 لٌ فلا خائفٌ ولا مقهورُ
 يا أبا الفضلِ يا ابن عمِّ رسول اللـ
 ه أنـت المؤمنُ الملـ المحذورُ
 والمكنى بكُنيتـه السوارثِ العبـ
 س والمكتـبي به المنصـورُ
 قدّر الله أن يُعـرِّبـك الإسـ
 لام والأمر كُله مـفـدورُ
 لم يزل فيك للذي دبّر الأشـ
 ياء مُدْ كـنت ناشئاً تـديـ
 بـرُ كان يبلوك بالرجاء وبالخو
 ف اختباراً وهو اللطيف الخبيرُ
 ثم ولاك ناصرًا لك مولا
 ك فنعمة المولى ونعم النصيرُ
 قد ضربت الأمور ظهراً للبطنِ
 وتصفحتها وأنـت أميرُ
 فرأيت العدو ييكي يماء
 ورأيت العدو وهو يزيـرُ

(1) ديوانه : ٣٥-٣٧ .

فانتقم يا خليفة الله ممن
لم يزل قلبه عليك يفور

إن هذه القصيدة قد تضمنت مجموعة من المفردات الإسلامية المتعلقة بالعقيدة ((رسول الله - صلى الله عليه وعلى آله وسلم - قدر الله ، الرجاء والخوف ، نعم المولى ونعم النصير)) فضلاً عن الألفاظ التي يمكن وصفها بالسياسية المتصلة بألقاب الخلفاء، وذلك كله يمثل نوعاً من تجليات الحضارة، ومظهراً من مظاهرها، على اعتبار أنها أوجدته، وأما لغتها فهي سهلة تكاد تخلو من عنصر التصوير ، ولذلك فقد غلب عليها طابع التقرير المباشر .

ومقابل ذلك نجد الشاعر قد نظم قصائد اتسمت بلغة شعرية فياضة بالصور الشعرية المعبرة ، وأساليب تعبيرية موحية ، وكأن الشاعر أراد من خلال ذلك التعبير عن مدى تمكنه من لغته الشعرية ، وجعلها مناسبة لمقامات ما يريد القول فيه ، من ذلك رائيته المشهورة في مدح المتوكل التي قال فيها^(١) :

عيون المها بين الرصافة والجسر
جلين الهوى من حيث أدري ولا أدري
أعدن لي الشوق القديم ولم أكن
سلوت ولكن زدن جمرأ على جمر
سألن وأسألن القلوب كآتما
تشك بأطراف المثقفة السمر

والقصيدة طويلة وملاى بالصور الشعرية المركبة المتصلة ، وبنيت من لغة شعرية فيها مقومات الأسلوب الشعري ، وقصد الشاعر ذلك ، إذ إنه افتخر قائلاً^(٢) :

وما أنا ممن سار بالشعر ذكره
ولكن أشعاري يسيرها ذكري
وللشعر أتباع كثير ولم أكن
له تابعاً في حال عسر ولا يسر
وما الشعر مما استظل بظله
ولا زادني قدرأ ولا حط من قدري

وقد تضمنت الصفحات السابقة أشعاراً فاضت بالألفاظ والتراكيب التي توحى بمظاهر الحضارة في هذا المجال، وتنوع الشاعر في أساليبها .

ثالثاً : الإيقاع

لا يخفى على الدارسين المختصين أهمية الإيقاع في النص الشعري ، فهو عنصر أساسي فيه إلى جانب الخيال والعاطفة ، واقرب تعريف له ((وحدة النغمة التي تتكرر على نحو ما في الكلام أو في البيت ، أي توالي الحركات والسكنات على نحو منتظم في فقرتين أو أكثر من فقر الكلام أو في أبيات القصيدة))^(٣) ويتولد من ترتيب الصوائت أو الحركات على نحو معين في الكلام يؤدي هذا الترتيب نوعاً من الأصوات المنتظمة على وفق هيئة مخصوصة .

ويكاد يتفق معظم الدارسين على أن المظاهر الحضارية في موسيقى الشعر ليست بمستواها في جوانب الشعر الأخرى ، كالمضمون واللغة والتصوير ، ولنقل ان مظاهر التجديد في الموسيقى الشعرية تكاد تكون محدودة أو معدومة ، إذ إن الشاعر كما هو حال الشعراء في العصر العباسي لم يخرجوا عما عرف بعمود الشعر ، ومن عناصره الإيقاع بنوعيه الداخلي والخارجي، وعلى الرغم من ذلك فإن شعراء العصر العباسي أخذوا يعدلون في أشعارهم عن ((النظم في الأوزان الطويلة المعقدة إلى النظم في الأوزان الخفيفة البسيطة))^(٤) ليتلاءم الشعر مع طرائق الحياة الجديدة في معظم جوانبها، وليس الشاعر علي بن الجهم ببعيد عن هذه الأجواء ولاسيما أنه ابن الحضارة آنذاك الذي ترعرع في أحضانها، وذاق حلاوة مباحها، ولطالما كان نديم الخلفاء العباسيين قبل أن يسوء حاله مع بعضهم أخريات حياته.

ولعلنا نستطيع القول إن المظهر الحضاري الذي لمسناه في شعر الشاعر كونه قد أكثر من النظم على بحر الرجز ، إذ جاء في المرتبة الأولى، ثم يأتي بعده الطويل فالكامل فالخفيف فالسريع والوافر والبسيط

(١) ديوانه : ١٤١-١٤٣ .

(٢) ديوانه : ١٤٩ .

(٣) النقد الأدبي ، محمد غنيمي هلال : ٤٦١ .

(٤) العصر العباسي الأول : ١٩٣ .

والمقارب والرمل والمنسرح^(١)، وهذا ملفت للنظر، إذ إن بحر الرجز ذا مكانة متواضعة بين بحور الشعر العربي، ويسمى بمطية الشعراء، وغالباً ما ينظم عليه المبتدئون منهم وهو اقرب الأبحر الى النثر^(٢)، وربما كان إكثار ابن الجهم من النظم عليه لكونه ساير العصر الذي ينتمي اليه، إذ كثر النظم بهذا البحر في أواخر العهد الأموي وأوائل العصر العباسي^(٣)، وربما يعود كذلك إلى سمة الارتجال التي كان الشاعر يتبعها في قسم من أشعاره، علاوة على سهولة النظم على هذا البحر لسهولته وخفته، وكونه يتماشى مع طبيعة الحياة آنذاك التي اتسمت بالسهولة والسرعة، زد على ذلك أن مضامين معظم أشعاره - وكما نوهنا إلى ذلك - حفلت بالموضوعات التي تعالج شؤون الحكم، سواء في مدائحه التي وجهها لقسم من الخلفاء الذين عاصروهم، أو في أهاجيه لمن كان مختلفاً معهم، وجاءت معظمها أقرب إلى لغة النثر وطابع الشعر التعليمي، ولذلك فقد أكثر من النظم عليه. وأما ظواهر الإيقاع الأخرى فقد احتوى شعر الشاعر أنماطاً من الإيقاع الداخلي كالتكرار بأنواعه (من حيث الحروف والألفاظ والتراكيب) والتقابل والتصريع والتجنيس، وهذه المظاهر وإن كانت لأثمن سمة منفردة عند الشاعر موضوع البحث، إذ اشترك فيها مع شعراء عصره مع شيوع الفنون البديعية آنذاك، ولكن وراء تلك السمة مسوغات حضارية.

فمن النماذج التي تجسدت فيها ظواهر التكرار قوله^(٤):

هـيَ النَّفْسُ مَاحَمَةً أَنْتَا تَتَحَمَّلُ وَلِلدَّهْرِ أَيَّامٌ تَجُورُ وَتَعْدِلُ
وعَاقِبَةُ المَتَّعِ الجَمِيلِ جَمِياً وأفضَلُ الرِّجَالِ التَّفَضُّلُ
ولَاعَارَ أنْ زَالَتْ عَنِ الحَرِّ نَعْمَةٌ وَلَكِنَّ عَاراً أنْ يَزُولَ التَّجَمُّلُ
ومَالِ المَالِ إِلا حَسْرَةً إنْ تَرَكْتَهُ وَعُغْمٌ إِذَا قَدَّمَ تَهْمَةً مُتَعَجِّلاً
ولِخَيْرِ أَهْلٍ يَسْعَدُونَ بِفِعْلِهِ وَلِلنَّاسِ أحوَالٌ بِهِمْ تَتَّقَلُّ
وَلِإِلهِ فِينَا عِلْمٌ غَيْبٍ وَإِمْهَامٌ يُوقِفُ مِنَّا مَنْ يَشَاءُ وَيُخْذِلُ

في هذه الأبيات أكثر من ظاهرة من ظواهر الإيقاع، منها تكرار صوت ((اللام)) أكثر من خمس وعشرين مرة، وتكرار صوت ((الراء))، فضلاً عن تكرار ألفاظ معينة ولكن بصيغ واشتقاقات مختلفة كما في: ((حَمَلْتَهَا تَحَمَّلْتُ)) و((الجميل جميلة، التَّجَمُّلُ)) و((أفضلُ التَّفَضُّلُ)) وهو نوع من الجناس يطلق عليه التجنيس الاشتقاعي، إذ تختلف الألفاظ على وفق هذا النوع من الفن البديعي من حيث نوع الصيغة، إلا أنها تعود إلى أصل لغوي واحد، ولا يختلف معناه العام^(٥)، وثمة تكرارات من نوع آخر، وهي تكرار ((عار)) مرتين و((زالَتْ يَزُولُ))، وتكرار الجار مع اختلاف المجرور ((للدَّهْرِ، للخَيْرِ، للنَّاسِ، لله)) إذ اعتمد فيه الشاعر على تقديم ماحقه التأخير في باب الجار والمجرور الواقع خبراً على المبتدأ، وليس ذلك فقط بل استثمر الشاعر أسلوب التقابل في أكثر من موضع من أبياته، ومنها: ((تَجورُ وتعدِلُ)) و((ولَاعَارَ وَلَكِنَّ عَاراً)) و((حسرةٌ وعُغْمٌ)) و((يُوقِفُ وَيُخْذِلُ)). ويبدو أن الشاعر قد وظف هذه الألوان من التكرار والتجنيس وبقائه، والجانبان كلاهما متصلان لا يمكن أن يؤدي أحدهما دوره بمعزل عن الآخر.

وفي موضع آخر نلمح هذا النهج الأسلوبية في نظمه، إذ قال^(٦)

خَلِيلاً أَيْ مَالاً لِلنَّحْبِ يَزْدَادُ جِدَّةً عَلَى الدَّهْرِ والأَيَّامِ يَبْلُغُ جَدِيدُهَا
ومَالِ العُودِ الغَانِيَةِ دَمِيَّةً وَلِيَلِي حَاراً أنْ تُنْذَمَ عُجُودُهَا
أَلْمَنْتُ وَجُنْحُ الأَيْلِ مُرْخِ سُدُولِهِ وَلِلسَّجِنِ أحوَالٌ قَلِيلٌ هُجُودُهَا
فَقَاتُ لَهَا أَنَّى تَجَشَّتْ حُطَّةً يُحَارِجُ أَنفَاسَ الرِّيحِ وَرُودُهَا

(١) اعتمدنا في هذه النتيجة والحكم على إحصائنا للبحور التي نظم عليها شعره من خلال تتبعنا لها بحسب ورودها في الديوان.

(٢) ينظر: فن التقطيع الشعري والقافية، د. صفاء خلوصي: ١٢٣.

(٣) ينظر: المصدر نفسه: ١٢٤.

(٤) ديوانه: ١٦٣.

(٥) ينظر: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب: ٦١/٢.

(٦) ديوانه: ٥١٠.

فَقَالَ أَطْعَمَنَا الشُّوْقَ بَعْدَ تَجَلُّدِي وَشَرُّ قُلُوبِ الْعَاشِقِينَ جَلِيدُهُ

في هذه الأبيات يحاول الشاعر تجسيد تجربته في علاقة الحب التي كانت تنشده إلى محبوبته ((ليلي)) التي كانت تبادل المشاعر ذاتها، ولعله قصد من وراء ذلك أن يرمز إلى علاقته مع الخليفة العباسي المتوكل معاتباً إياه لرميه في غياهب السجن، ونلمح فيها استثمار الشاعر لعنصر التقابل بين عدة صور، منها: تجدد أمر الحب بتجدد الأيام، وتلاشي ماسواه بتقادم الأيام، والوصفان المتناقضان لعهد الحبيبة وعهود الغواني اللائي لايدوم لهنَّ عهدٌ على أمرٍ إلا و ينفضنهُ، ومنها حالة هجوع الليل ويقظة أحراس السجن المطبق على الشاعر، وفي هذا إيحاء بالحالة النفسية، والمشاعر المتناقضة التي تورق الشاعر، وله وظيفة إيقاعية تابعة لدوره الدلالي، ولذلك فقد وظف الشاعر عنصراً إيقاعياً آخر، وهو الجناس في: ((جِدَّةٌ جَدِيدُهَا، ذَمِيمَةٌ تَذُمَّ، تَجَلَّدُ جَلِيدُهَا)) فضلاً عن مجيء القافية (أ) على وزن صرفيٍّ متشابه، وهو ((فَعِيل)) في: جديدها وجليدها، ووزن ((فُعُول)) في: عُهْدُهَا وَهُجُودُهَا وَرُودُهَا. وللأسئلة أن يسأل أين مظاهر الحضارة في ذلك؟ وللإجابة على ذلك لابد من الرجوع إلى ما بدأنا به البحث في الحديث عن الحضارة، ونخص الحضارة في العصر العباسي أو مظاهر الحضارة، إذ بلغ الرقيُّ أسمى ذرى الحضارة وأرفع قِمَمِ المدنية، فعمَّ الأمنُ وكثُرَ الخير، وتعددت مناحي الرزق، وتفرغ أفراد المجتمع آنذاك للتمتع بمنجزات الحضارة في الملابس والمأكول والمسكن، ورفلوا في أبهى أنواع الخلل، فارتدوا الخرز والديباج، واستبدلوا بالعباءة المطارف والغلائل، وبالمضارب التي بسطها الرمال قصورا شامخة فرشها الطنافس والبسط، الزاهية بألوانٍ مبهجة تسر الناظرين، وإذا كان الشعر في أحد جوانبه يُمثِّلُ نتاجاً حضارياً، ويتجسّدُ عليه المستوى الحضاري الذي تبلغه الأمم، فلا عجب إذا تأثر بهذه الألوان الجديدة، وبدا في ثوب من الخُرْفِ والتنميق والزينة، ليس له به إلفٌ في سابق زمانه، ولا عجب إذا سار الشِعْرُ في طريق البديع والصنعة سيراً حثيثاً^(١)، ومن المعلوم أن معظم فنون البديع يُسْنَهُمُ في تكوين الإيقاع الداخلي، وأطلق عليه القدماء مصطلح الصنعة، تلك الصنعة مرتبطة بالفن ارتباطاً تلازمياً، وتُمثِّلُ مُنْجَزاً حضارياً، ومظهراً من مظاهر الحضارة في شؤون الحياة كُلِّهَا، ولا سيما الإنتاج الأدبي من شِعْرٍ ونثرٍ، وهذا الملمح ليس خاصاً بعلي بن الجهم بل بالشعراء العباسيين عامة.

الخاتمة والنتائج

وفي نهاية البحث لابد من الإشارة إلى ما تمخض عنه من نتائج تتعلق بالمظاهر الحضارية في شعر علي بن الجهم .

ان المتأمل لشعر هذا الشاعر يجده قد واكب الحركة الحضارية في أوج تألقها في العصر العباسي ، إلا ان مظاهر التأثير قد تفاوتت في عناصر النص الشعري لدى الشاعر.

ومن الجدير الإشارة إلى مسألة مهمة تتعلق بمظاهر البداوة في شعر الشاعر، إذ إن الباحث وبعد قراءة الديوان وفحصه لم يعثر على أي مظهر بدوي في شعر الشاعر، وأما قوله^(٣):

أُنْتُ كَالْكَلْبِ فِي حَفَاظِكَ لِلشُّوْدِ وَكَالتَّيْسِ فِي قِرَاعِ الخُطُوبِ

أُنْتُ كَالدَّلْوِ لَا عِدْمَ نَأْكَ دَلْواً مِنْ كِبَارِ الدِّلَالِ كَثِيرِ الذُّنُوبِ

فقد علق عليهما مُحَقِّقُ الديوان بقوله: ((ذكر الشيخ مُحْيِي الدين بن عربي في: مُحاضرة الأبرار ومُسامرة الأخيار أَنَّ علي بن الجهم مدح المتوكل بقصيدة منها هذان البيتان في خبر يظهر عليه الوضع، والذي نراه- إن صححت نسبة البيتين له- أنه قالهما في أحد مجالس المتوكل يعبث ببعض النُدماء أو المُضحكين))^(٤)، وما يؤيد هذا الرأي أننا لم نعثر على أشعار أخرى في مضمون مقارب، بل على العكس من ذلك فقد فاضت أشعاره بمظاهر الحضارة، وأجواء المدينة.

(١) على وفق عدِّ الكلمة الأخير كاملة قافية.

(٢) ينظر: الصبغ البديعي في اللغة العربية، د. أحمد إبراهيم موسى: ٥٢ و ٥٥ و ٥٦.

(٣) ديوانه: ١١٧.

(٤) ينظر: ديوانه، هامش (٣): ١١٧.

ومن حيث المضمون فقد رأينا الشاعر استوحى كثيراً من المظاهر الحضارية المتعلقة بالإسلام الحنيف و عقائده وحُكمه ، ولاسيما في مسائل التوحيد والقضاء والقدر ، وشرائع الحكم والعبادات، وما يتعلق بنظام الحكم في الإسلام المتمثل بالخلافة وألقاب الخلفاء والوزراء .

ومن المظاهر الحضارية الأخرى التي أعطت تميزاً للشاعر بين شعراء عصره وصف العمران من قصور ورياضٍ ومرابك نهريّة ووسائل الصيد ، إذ أكثر الشاعر من هذه المضامين ، وتفنّن في أوصافها ، وفصّل ، حتى كأنّ القارئ يعاينها عن كثب .

وفيما يتعلق بلغة شعره في الجانب الحضاري فقد رأينا أسلوبين لغويين لدى الشاعر ، الأول : اتسم بوضوح العبارة والتقريرية في الخطاب حتى اقترب من لغة النثر ، ولاسيما في شعره الإسلامي والسياسي ، الثاني : استعمل فيه فنون التصوير المختلفة ، واستعان بأساليب شعرية راقية كما رأينا في شعره الوصفي الذي يتناول فيه مظاهر العمران العباسي .

ولابد من الإشارة الى مسألة مهمة تتعلق بمظاهر الحضارة في إيقاع الشعر وموسيقاه ، إذ إنّ المظاهر الحضارية في هذا العنصر الشعري ليس بمستواها في بقية العناصر ولاسيما فيما يتصل بأوزان الشعر أو الإيقاع الخارجي، أما الإيقاع الداخلي فقد رأينا مظاهر الصنعة متجلية فيما عُرف بالبديع، ومن المعلوم أنّ جُلّ فنون البديع تُشكّل عناصر الإيقاع الداخلي في القصيدة .

المصادر والمراجع

- ١- الأدب وفنونه، د. عز الدين إسماعيل، دار الفكر العربي، ط٦، ١٩٧٦م.
- ٢- الأسلوب دراسة لغوية إحصائية، د. سعد مصلوح، دار البحوث العلمية، ط١، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.
- ٣- الأغاني، أبو الفرج علي بن الحسين القرشي الأصفهاني، تح: إبراهيم الأبياري، دار الكتب-مصر، ١٩٦٩م.
- ٤- تاريخ بغداد، أحمد بن علي أبو بكر الخطيب البغدادي، دار الكتب العلمية-بيروت.
- ٥- تحليل النص الشعري _دراسة ما وراء نقدية في البنيوية العربية، سعيد عبدالهادي المرهج، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط١، ٢٠٠٨.
- ٦- التصوير البياني في شعر المتنبي، د. الوصيف هلال الوصيف إبراهيم، مكتبة وهبة القاهرة، ط١، ١٤٢٦هـ- ٢٠٠٦م.
- ٧- التفسير الإسلامي للتاريخ، د. عماد الدين خليل، منشورات مكتبة تموز-نيناوى-العراق، ط٤، ١٩٨٦م.
- ٨- التفسير الكبير، (مفتاح الغيب)، فخر الدين الرازي، دار الكتب العلمية - طهران، ط٢.
- ٩- الحضارة، د. حسين مؤنس، سلسلة عالم المعرفة، العدد ١، الكويت يوليو، ١٩٧٧م.
- ١٠- ديوان علي بن الجهم، تح: خليل مردم بك، لجنة التراث العربي-بيروت، ط٢.
- ١١- الصبغ البديعي في اللغة العربية، د. أحمد إبراهيم موسى، دار الكاتب العربي للطباعة والنشر-القاهرة، ١٣٨٨هـ- ١٩٦٩م.
- ١٢- صيدم الحضارات، صامويل هنتجتون، ترجمة: طلعت الشايب، ط٢، ١٩٩٩.
- ١٣- العصر العباسي الأول، د. شوقي ضيف، دار المعارف-مصر، ط٤.
- ١٤- العصر العباسي الثاني، د. شوقي ضيف، دار المعارف-مصر، ط٤.
- ١٥- فن التقطيع الشعري والقفائية، د. صفاء خلوصي، دار الشؤون العامة، بغداد، ط٦، ١٩٨٧م.
- ١٦- الفهرس الموضوعي لأبيات القرآن الكريم، عني بجمعه وترتيبه: محمد مصطفى محمد، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية-الجمهورية العراقية، ١٤٠٣هـ- ١٩٨٣م.
- ١٧- لسان العرب، العلامة ابن منظور، اعتنى بتصحيحه: أمين محمد عبد الوهّاب و محمد الصادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي و مؤسسة التاريخ العربي-بيروت، ط٣.
- ١٨- اللسانيات والدلالة، د. منذر العياشي، مركز الإنماء الحضاري، ط٢، ٢٠٠٧م.
- ١٩- مباحث تأسيسية في اللسانيات، عبد السلام المسدي، دار الكتاب الجديد-طرابلس-ليبيا، ط١، ٢٠١٠م.
- ٢٠- مختار الصحاح، محمد بن أبي بكر الرازي، دار الرسالة الكويت، ١٤٢٠هـ- ١٩٨٣م.
- ٢١- مروج الذهب ومعادن الجوهر، أبو الحسن علي بن الحسين المسعودي، دار الأندلس-بيروت، ط٦، ١٩٨٤م.
- ٢٢- مشكلة الإنسان، د. زكريا إبراهيم، مكتبة مصر-القاهرة.
- ٢٣- مشكلة الفن، د. زكريا إبراهيم، مكتبة مصر- القاهرة.
- ٢٤- معجم الشعراء، محمد بن عمران بن موسى، تح: عبد الستار أحمد فراج، دار إحياء الكتب العربية-دمشق.
- ٢٥- معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، د. أحمد مطلوب، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ط١، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م.
- ٢٦- المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم بحاشية المصحف الشريف، وضعه: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الحديث-القاهرة، ط١، ١٤١٧هـ- ١٩٦٦م.
- ٢٧- مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، اعتنى به: د. محمد عوض مرعب، دار إحياء التراث العربي-بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ- ٢٠٠١م.
- ٢٨- مقدمة ابن خلدون، ابن خلدون، دار القلم-بيروت.
- ٢٩- مكانة العقل في الفكر العربي، بحوث ومناقشات المجمع العلمي العراقي، مركز دراسات الوحدة العربية و المجمع العلمي العراقي، ط٢، ١٩٩٨م.
- ٣٠- المورد قاموس إنكليزي-عربي، منير البعلبكي، دار العلم للملايين-بيروت، ط٤، ٢٠٠٦م.
- ٣١- النقد الأدبي، د. محمد غنيمي هلال، دار الثقافة و دار العودة-بيروت.
- ٣٢- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان، تح: د. إحسان عباس، دار صادر-بيروت.